الاستاذ مرغليوث

الاستاذ مرغليوث انكليزي ناطق بالضاد . . . فانه مستشرق تضلع من العربية وملك عنانها . ولا بدع فانه وقف عليها ذكاءً خارقاً وعزيمة ماضية . فهو اليوم ملمٌّ بعلومها وآدابها الماماً قلما تسنى لغيره من المستشرقين

وهو يقيم في اكسفورد « مدينة العلم » وهي على نحو ٦٠ ميلاً من لندرا ، سكانها طلبة ، ومخازنها مكاتب ، وشوارعها حدائق . أهم مبانيها واقدمها ثلاثة وعشرون هي صروح العلم منذ القرن الرابع عشر ، اذ هي

المباني المتفرقة هنا وهناك التي تتألف منها جامعة اكسفورد الشهيرة . واستاذنا استاذ العربية في هذه الجامعة

زرته في بيته وخاطبتهُ بالانكليزية فردّ عليّ بالعربية ، وهو يتكلمها بكل طلاقة ويجيد الاسلوب العامي (الشامي والمصري) لانهُ زار القطرين غير مرة ومكث فيهما مدة طويلة . وهو معروف لدى جمهور من ادباء القطرين وعلمائهما وله منهم صفوة اخوان يجلهم ويجلونه

وهو رجل على علوّ قدره وسمو مكانته في عالم الادب متواضع ليّن الجانب ، يمدحه عارفوه ، وتعظمه افعاله . وقد ذكره لي زميله ارنولد [1] وقال « انه فرد نادر الذكاء » . فقد كان يفوز بقصب السبق على اقرانه مدة تلمذته بطولها ، وانه لذو مقدرة غريبة في درس اللغات واتقانها . فلتفتخر العربية بان مثل ذكائه ومقدرته موقوفان عليها دون سائر اللغات الشرقية

اما ما يجيئه الآن من خدمة هذه اللغة «المظلومة» فهو طبع كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي . فان لديه النسخة الخطية الوحيدة من هذا الكتاب . وقد أراني الجزء الذي تم طبعه فرأيته حافلاً بالشروح والتفاسير التي تشهد له بسعة الاطلاع وطول الباع في علوم اللغة وآدابها

وقد ظهر له مؤخراً كتاب جليل في الاسلام كنت قد طالعته قبل التشرف بمقابلته ، فحدثتني نفسي بنقله الى العربية لما وجدت في فصوله من الاحصاآت والحقائق التاريخية والابحاث الفلسفية والسياسية مما يهم

---

(١) وهو أحد المستشرقين وسننشر رسمه في عدد تال

الاطلاع عليه كلّ متصدٍّ للبحث والكتابة في الشؤون العربية والاسلامية على الاطلاق . وهو سفر مختصر بحث فيهِ عن ماضي الاسلام وحاضره من أوجه الدين والامة والدولة جميعاً بحثاً دقيقاً متحاشياً فيه ذكر كل ما يجرح الاحساسات ، ومقتصراً على ايراد الحقائق وارداف النتائج باسبابها

وقد طلبت اليهِ ان يتحف « الزهور » برسمه الكريم وبنفثة من يراعه العربي ، فتفضل بقبول متمناي وبعث اليَّ الى لندن بالرسم وقد وقّع اسمه عليه بيده ، وبالجملة التالية وقد كتبها بقلمه البليغ وديع البستاني

مذهب المستشرقين

ذكر صاحب الفخرى في اخبار امير المؤمنين عبد الملك ان مذهب المستعربين اخترع في عصره وهو يريد بهم رجالاً من الاجانب اتخذوا اللغة العربية لغة وتزيوا بآداب العرب . وقياساً على تلك الكلمة وُضع في ايامنا اسم المستشرقين تسمية لمن ينتمي الى علوم الشرق من أهل الغرب لا كالذين يشير اليهم المتنبي بقوله

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه

فان فيهم أُناساً لا يُطعن في أهليتهم ، وانما تركوا جادة طريقة أصحابهم لاسباب نريد ان نبينها لمن ذهبت عنهُ او خفيت عليه . فأول داعية دعت قوماً من علماء الافرنج الى اكتساب العلوم الشرقية هي الديانة . فان التوراة اساس أسّس عليه الدين المسيحي ولغتها الاصلية عبرانية تختص باليهود الذين مع حفظهم لكتابهم المقدس وتعبدهم بفروضه

لم يهتدوا الى تبويب وتدوين قواعدها وقوانينهـا الاّ بعد توطئـة نوابغ نحويي الاسلام للطريق . وبعد ما ألف سيبويه كتابه وجمع ابو عبيد غريبه ورتب الراغب مفرداته حملت بعض اساتذة اليهود الغيرة على الاقتداء بهم . وقد سهل ذلك عليهم ما بين اللغتين من التقارب والتشابه فلما استهل عند الافرنج قمر المعارف صار لاهوتيوهم يأخذون من علمـاء اليهود تفسير التوراة. وبتقفية الآثار تدرجوا الى الموارد العربية فاصبح كل من يرغب في الوقوف على حقائق معاني التوراة طالباً للعربية لا يستغني عن طرف منها . فالسبب الاصلي في تأسيس استاذيات اللغة العربية عند الافرنج هو ديني صرف اضيف اليهِ ما كان اشتهر من حذق اطباء العرب وحكمائهم ومنجميهم وانه لم يزل عندهم متون أئمة اليونان القدماء وشروحها وكان طلبـة الطب عندنا قبل ٢٥٠ سنة يضطرون الى حضور دروس مدرّس العربية . ثم عنـدما بلغت حرية الافكار ما بلغت وانتجت علوم جديدة تنقر عن الانسان من حيث هو انسان وتبحث عن مصادر السياسات والاديان وتاريخ الممالك والبلدان واختلاف الانواع باختلاف الزمان والمكان لم يخفَ على المتبحرين في هـذه العلوم اتساع الممالك الاسلاميـة وعظم ما تشتمل عليهِ من المواد اللازمة لاشغـالهم من آثار متوارثة وعوائد غير مخل بها ومذاهب متشعبة وطرائق متفاوتة فازدادوا رغبة في الحصول على الآلات التي تمكنهم من الاكتشاف عن خفايا التاريخ وهؤلاء لا بد لهم من الاستشراق

مرغليوث